استلهامُ المنهج النَّبوي في بناء الكفاءات في إدارة التَّعليم الشَّرعي العالي في الشَّمال السُّوري

د. ماجد رياض العليوي
أستاذ مشارك، عضو هيئة تدريسية في جامعة حلب في المناطق المحررة، سورية
elewe.76@gmail.com

تاريخ استلام البحث ٢٠٢١/١٠/١م، تاريخ قبول البحث ٢٠٢٤/١٢/٢٥م.

ملخص البحث

يتناول البحث أهم معالم المنهج النّبوي في بناء الكفاءات، وما لذلك من أثر في بناء الإنسان والدولة والمجتمع، وكيفية الاستفادة من هذا المنهج في إدارة التَّعليم العالي الشَّرعي وتطويره في الشمال السوري، وتكلم البحث في سبيل ذلك في أهمية الاستثمار في الإنسان فالثروة الحقيقية للأمم تكمن في الطاقة البشرية والخبرات المعرفية المتوفرة عند الإنسان، كما وضح البحث أبرز معالم الهدي النّبوي في الإعداد العلمي للكفاءات، هذه المعالم المتمثلة في التركيز على الحاجة المجتمعية، والتدرج في التَّعليم وفقه الأولويات، واكتشاف المواهب وتوظيفها، وفي ضوء ذلك جاء الكلام عن التَّعليم الشَّرعي العالي في الشمال السوري في ضوء الهدي النّبوي في التَّعليم.

ثم انتقل البحث للكلام عن المنهج النّبوي في الإعداد العملي للكفاءات من خلال الأمر بالتبليغ، ثم التخطيط ورسم منهج العمل، ثم تفويض السلطات للتدريب على العمل القيادي، ثم الشورى.

كما تناول البحث معالم المنهج النّبوي في الإعداد التربوي للكفاءات من خلال تفقد الأصحاب، والتربية على الرقابة الذاتية، والتربية على سعة الأفق وقبول الخلاف، واليقين والأمل، وتحمّل المسؤولية، ورعاية التميّز، وكيفية الاستفادة من هذا المنهج في إدارة التَّعليم الشَّرعي العالي وتطويره في الشمال السوري.

الكلمات مفتاحية: المنهج النّبوي، الكفاءات، التَّعليم الشَّرعي.

Drawing Inspiration from the Prophetic Methodology in Building Competencies in the Management of Higher Islamic Education in Northern Syria

By: Dr. Majed Riad Alelewe

Abstract

The study discusses the key features of the prophetic methodology in competency building and its impact on the development of individuals, the state, and society. It explores how to benefit from this methodology in managing and developing higher Islamic education in Northern Syria. The research points out the importance of investing in human capital, as the true wealth of nations lies in the human energy and knowledge available to individuals.

The study highlights the main characteristics of the prophetic guidance in the scientific preparation of competencies, which include focusing on community needs, gradual education according to priorities, discovering and employing talents. In this context, the discussion extends to higher Islamic education in Northern Syria in light of prophetic guidance in education.

The research then moves to the prophetic methodology in practical preparation of competencies through directives to convey knowledge, planning and outlining a work methodology, delegating authority for leadership training, and consultation.

The study, moreover, addresses the characteristics of the prophetic methodology in the educational preparation of competencies through monitoring individuals, fostering self-regulation, promoting open-mindedness and acceptance of differences, instilling certainty and hope, assuming responsibility, and nurturing excellence. It concludes with ways to leverage this methodology in managing and developing higher Islamic education in Northern Syria.

Key words: Prophetic Methodology, Competencies, Islamic Education.

Kuzey Suriye'deki Yüksek Şer'i Eğitimin Yönetiminde Yeterliliklerin Geliştirilmesi Amacıyla Nebevi Yaklaşımdan İlham Almak

Dr. Majed Riad Al Elewi

Özet

Araştırma, yeterliliklerin inşasında nebevi yaklaşımın en önemli özelliklerini, bu yaklaşımın insanı, devleti ve toplumu inşa etmedeki etkisini ve Kuzey Suriye'deki yüksek şer'i eğitimin yönetimi ve geliştirilmesinde bu yaklaşımdan nasıl istifade edilebileceğini incelemektedir. Bu amaçla araştırmada milletlerin gerçek zenginliğinin insan gücü ve insanın sahip olduğu bilgi birikiminde yattığı düşünülerek, insana yatırım yapmanın önemi vurgulanmıştır. Ayrıca araştırma, nebevi rehberliğin bilimsel yeterliliklerin ortaya çıkarılmasındaki temel ilkelerini de açıklamıştır. Bu ilkeler, toplumsal ihtiyaçlara odaklanma, eğitimde tedricilik ve öncelikler fıkhını gözetme, yetenekleri keşfetme ve bunları değerlendirme gibi unsurları kapsamaktadır. Bu bağlamda, Kuzey Suriye'deki yüksek şer'i eğitimin, nebevi rehberlik ışığında nasıl şekillendirilebileceği üzerinde durulmuştur.

Araştırma daha sonra nebevi yaklaşımın yeterliliklerin pratik olarak hazırlanmasındaki rolüne odaklanmıştır. Bu kapsamda tebliğ görevi, çalışma planı yapma ve yöntem belirleme, liderlik eğitimi için yetkilerin devri ve istişare yöntemleri ele alınmıştır.

Bunların yanı sıra araştırma, nebevi yaklaşımın eğitimsel yeterliliklerin geliştirilmesindeki ilkelerine de değinmiştir. Bu ilkeler, sahabeyi gözetme, öz denetime teşvik, açık görüşlülük ve farklılıkları kabul etme nitelikleri kazandırma, kesin inanç ve umut aşılama, sorumluluk alma, mükemmelliğe önem verme gibi konuları kapsamaktadır. Ayrıca araştırma dahilinde bu yaklaşımın Kuzey Suriye'deki yüksek şer'i eğitimin yönetimi ve geliştirilmesine nasıl fayda sağlayabileceği de incelenmiştir.

Anahtar Kelimeler: Nebevi Yaklaşım, Yetkinlikler, Şer'i Eğitim.

مقدمة البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأزكى التّسليم على نبينا الأكرم سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يتناول البحث أهم معالم المنهج النّبوي في بناء الكفاءات، وما لذلك من أثر في بناء الإنسان والدولة والمجتمع، وكيفية الاستفادة من هذا المنهج في تطوير التَّعليم العالي الشَّرعي في الشمال السوري.

والمقصود بالمنهج النّبوي في بناء الكفاءات المنهج النّبوي في بناء الكفاءات عند جيل الصحابة ككل، لأنه الجيل الذي سيمهّد لقيام دولة الإسلام، وسيقع على كاهله أعباء الدعوة ونشر الرسالة، وهو ما ألمح إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤].

مشكلة البحث:

ترجع مشكلة البحث إلى إبراز المعالم العامة التي تحدد المنهج النّبوي في بناء الكفاءات، وما لذلك من أثر بارز في بناء الدولة والمجتمع، والتصدي للمعوقات التي تعترض هذا البناء، وآلية الاستفادة من هذا المنهج في تطوير التَّعليم الشَّرعي العالي وبناء المؤسسات التَّعليمية الشَّرعية في ظل غياب التكوين الجيد للكفاءات العلمية في الشمال السوري.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في النقاط التالية:

١. إن تحليل التجارب الرائدة للشخصيات القيادية التي لهاد الدور البارز في التغيير والتطوير ورصدها باعتماد المنهج الاستقرائي والتحليلي يعتبر من السبل المهمة في إعداد القيادة الرشيدة وفي جودة العمل وتنظيمه وحلّ الأزمات وتطوير المجتمعات.

٢. إن النظر في السنة بالبحث والتحليل والاستنباط للوقوف على المعالم التي سار عليها المهج النّبوي في بناء الكفاءات، ومحاولة استلهام معالم هذا المنهج

في تطوير التَّعليم العالي في الشمال السوري، يمكن أن يشكل رافداً مهماً في هذا الجانب.

أهداف البحث:

١. التأسيس لنظرية بناء الكفاءات في الهدي النّبوي.
٢. الوقوف على السمات العامة للهدي النّبوي في بناء الكفاءات وتقديمها في مواقف تدريبية معاصرة للإفادة منها في تطوير التَّعليم الشَّرعي العالي في الشمال السوري.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، فالمنهج الاستقرائي بتتبع النصوص التي تتعلق بقضية إعداد الكفاءات، والجمع بين هذه النصوص للوصول إلى الهدي النّبوي في بناء الكفاءات.

والمنهج التحليلي بدراسة هذه النصوص بتعمق للوقوف على القواعد الأساسية التي تحدد معالم الهدي النّبوي في بناء الكفاءات، وكيفية الإفادة من هذه القواعد في إدارة التَّعليم الشَّرعي العالي في الثورة السورية.

مخطط البحث:

جاءت خطة البحث في مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة تضمنت مشكلة البحث وأهمية البحث وأهداف البحث ومنهج البحث.

مدخل في أهمية الاستثمار في الإنسان.

المبحث الأول: معالم المنهج النّبوي في البناء العلمي للكفاءات.

المبحث الثاني: معالم المنهج النّبوي في البناء العملي للكفاءات.

المبحث الثالث: معالم المنهج النّبوي في البناء التربوي للكفاءات.

والخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث.

مدخل: أهمية الاستثمار في الإنسان و أثر ذلك في بناء المجتمع

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ

مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠]، والحقيقة الأولى هنا هي أن المشيئة مطلقةٌ لله تبارك وتعالى، هو سبحانه الذي يريد هذه الخلافة للإنسان، وطبيعي أن الخليفة لا يجوز له إلا أن يعمل في ضوء توجيه من استخلفه بناءً على عقدٍ أو كتابٍ أو وثيقةٍ تبيّن ذلك، من أجل ذلك كانت الكتب السماوية، ومن أجل ذلك كان إرسال الرسل، ومن أجل ذلك كان الهدي النّبوي، ومن أجل ذلك يبيّن لنا القرآن: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]، فمهمة الرَّسول في ضوء هذا النص القرآني في ثلاثة أشياء، تعليم الكتاب، وتعليم الحكمة، والتزكية للإنسان، هذه الثلاثية عليها يقوم تحقيق مفهوم الاستخلاف في الأرض [١]، وواضح أن هذه الثلاثية إنما تصب اهتمامها وتجعل محور عملها في الإنسان، لأن الإنسان هو الذي يصنع التغيير، وهو الذي يرسم ملامح الرقي والتقدم.

لا يُنكَر أنّ الثروات المادية والموارد الطبيعية لها الأهمية البارزة في رقي الأمم، ولكن أي قيمةٍ لهذ الثروات والموارد إذا لم يوجد العنصر البشري الكفء الذي يعرف قيمة هذه الموارد، ويعمل على تسخيرها في خدمة الأمة ورقيها وتحقيق حاجاتها والوصول بها إلى مرحلة الرفاهية؟!

فالثروة الحقيقية للأمم تكمن في الطاقة البشرية والخبرات المعرفية المتوفرة عند الإنسان، من أجل ذلك يمكن القول بأن أهم أنواع الاستثمار إنما هو الاستثمار في الإنسان، ذلك أن الإنسان هو عماد التنمية في المنظور الإسلامي، فالتنمية إنما تقوم بالإنسان [٢]، والمراد بالاستثمار في الإنسان العمل على تطوير الإنسان وتوفير الشروط الملائمة لضمان وجود الإنسان القادر على التطوير بشكل دائم، فالإنسان هو غاية التنمية في الإسلام، وهو وسيلتها وصانعها بما علمه الله وآتاه من مواهب وطاقات [٣]، ومن هنا ظهر مفهوم (الاستثمار في رأس المال البشري)، وظهرت نظرية الاستثمار في التَّعليم، فبعد أن كان ينظر لقطاع التَّعليم نظرة المستهلك، تمّت مراجعة دور قطاع التَّعليم في مختلف

(١) وانظر التخطيط الحكيم، د. محمد حسين أبو صالح، (٨) وما بعدها.

(٢) وانظر الإنسان أساس المنهج الإسلامي في التنمية، د. عبد الحميد الغزالي، (٣٤).

(٣) وانظر دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، د يوسف القرضاوي، (٦٣).

جوانب الحياة، وما يمكن أن يحدثه من نموٍّ في جميع هذه الجوانب، فبدأ الاقتصاديون في إيجاد علاقات بين الإنفاق على الاستثمار في التَّعليم ومعدلات النمو الاقتصادي، وبدؤوا يعتبرون الإنفاق على التَّعليم نوعاً من الإنفاق الاستثماري؛ لما يترتب على هذا الإنفاق من ارتفاع في مهارات وقدرات الأفراد، ومن ثمّ زيادة مردودية هؤلاء الأفراد وكذا إنتاجيتهم، وهذا ما يدفع بعجلة النمو إلى الأمام.

والمنظور الإسلامي متقدمٌ جداً في أدبياته ومبادئه في هذه المعادلة على سائر الأدبيات الفلسفية وسائر النظريات الاقتصادية، ذلك أنّ الإسلام يعتبر الإنسان الذي يعمل على تطوير نفسه وتطوير مجتمعه، وتحقيق الكفاية له ولغيره في عبادةٍ يثاب عليها، فرَبَط التنمية بالعقيدة الإيمانية، والعقيدة من أهم المحفزات على العمل والبذل والعطاء، وقد جاء في الحديث عن كعب بن عجرة ﷺ، قال: مرّ على النبي ﷺ رجلٌ، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟! فقال رسول الله ﷺ: ((إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياءً ومفاخرةً، فهو في سبيل الشيطان)) [1].

المبحث الأول: معالم المنهج النّبوي في الإعداد العلمي للكفاءات:

ولن يكون الكلام هنا عن أهمية العلم وأثره البالغ في التنمية والتطوير والرقي، كما لن يكون الكلام عن المكانة العظيمة للعلم في الإسلام، حتى لا يكون الكلام من قبيل توضيح الواضحات، إنما سيجوز البحث مباشرةً إلى بيان أبرز معالم الهدي النّبوي في الإعداد العلمي للكفاءات، وكيف يمكن توظيف هذه المعالم في التَّعليم الشَّرعي العالي في الثورة السورية.

وأبرز معالم الهدي النّبوي في الإعداد العلمي للكفاءات في النقاط الآتية:

- التركيز على الحاجة المجتمعية.
- التدرج في التَّعليم وفقه الأولويات.

(١) الطبراني، المعجم الكبير (٢٨٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٥/٤): ((رجاله رجال الصحيح)).

- اكتشاف المواهب وتوظيفها.

١. التركيز على الحاجة المجتمعية:

ففي التركيز على الحاجة المجتمعية، أو سدّ الحاجات المجتمعية عبر النِّظام التَّعليمي، والتأسيس لعلومٍ تفرضها حاجة المجتمع، وهو شرط أساسي في النهوض والوفاء بمتطلبات القوة التي تعتبر حاجة أساسية من حاجات المجتمعات، نجد هذا واضحاً في الهدي النّبوي الذي يرسم المسار الصحيح لبناء الدولة القوية، وأبرز النماذج التي يظهر من خلالها هذا الهدي النّبوي الرائد نموذجان اثنان:

الأول: زيد بن ثابت ﷺ، وأمر النبي ﷺ له أن يتعلم لغة اليهود، ففي الحديث عن زيد بن ثابت ﷺ قال: أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود، وقال: ((إني والله ما آمن يهود على كتابي))، فتعلمته، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حَذَقْتُه، فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كُتِب إليه.[١]

فالنبي ﷺ وجد الحاجة الملحة لتعلم لغة اليهود، يظهر ذلك من التعليل النّبوي في هذا الحديث: ((والله ما آمن يهود على كتابي))، فعمل ﷺ على سدّ هذه الحاجة، وهذا المنهج النّبوي يؤسس لقضية ضرورة أن يكون في الأمة من يتولى حاجات الأمة التخصصية في سائر العلوم والفنون، وأن يكون الاختيار للشخص المناسب للمكان المناسب والمهمة المناسبة، والمتأمل في منهج النبي ﷺ في توزيع الأعمال على الصحابة يلمس هذا واضحاً، فكل شخص له ميدانٌ ومجالٌ يؤدي فيه دوراً لا يمكن أن يؤديه الآخر.

والنموذج الثاني: ما اشتهر في السيرة النّبوية من جعل النبي ﷺ تعليم الكتابة لصغار الصحابة فداء لأسرى بدر، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة))[٢].

(١) أبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥) وقال الترمذي: ((حسنٌ صحيحٌ)).

(٢) أحمد بن حنبل، المسند (٢٢١٦).

فقد وجد النبي ﷺ الحاجة ماسةً في مجتمع الصحابة في المدينة لتعلم الكتابة، وقد كانت الكتابة من الفنون النادرة عند العرب قبل الإسلام، فرتب ﷺ لتحقيق هذه الحاجة المجتمعية، لما لها من دورٍ مهمٍّ في بناء المجتمع ورفده بالمعارف الضرورية.

٢. التدرج في التَّعليم وفِقهُ الأولويات:

والمراد بالتدرج في التَّعليم الانتقال بالمتلقي من المحسوس إلى المجرد، ومن السهل إلى المعقد، ومن البسيط إلى المركب، ومن الجزئي إلى الكلي [١]، وهذا منهجٌ مهمٌ في التَّعليم، بل إنه لا يمكن أن يكون تعليمٌ صحيحٌ إلا بمنهجٍ صحيحٍ يقوم على التدرج والأخذ بيد المتلقي والترقي به في سلم التَّعليم درجةً بعد درجةٍ.

ويراد بفقه الأولويات وضع كل شيءٍ في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدم الأولى فالأولى بناءً على معايير شرعيةٍ صحيحةٍ، فلا يقدم غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل والأفضل. [٢]

وقد كان هذا المنهج حاضراً في هدي النبي ﷺ في التَّعليم وإعداد الكفاءات وقد ورث الأصحاب هذا المنهج عن النبي ﷺ، وساروا عليه، فعن أبي عبد الرحمن السُّلمي، قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ إنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا فعلمنا العلم والعمل [٣]، وعن شقيق أبي وائل قال :كان عبد الله بن مسعود يذكّر الناس في كل خميسٍ، فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكّرتنا كل يومٍ، قال: ((أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملّكم، وإني أتخوّلكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)) [٤]، وكان يأتي الرجل من الأعراب إلى النبي ﷺ فيقول: دلني على عملٍ إذا عملته دخلت الجنة؟ فيقول ﷺ: ((تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة،

---

(١) ينظر د. سالم سلامة، التأصيل العلمي لأساليب التَّعليم في السنة النَّبوية، بحث مقدمٌ إلى المؤتمر التربوي الأول في الجامعة الإسلامية في غزة، ص (١٢).

(٢) د. يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات، ص (٩).

(٣) أحمد بن حنبل، المسند (٢٣٥٢٩).

(٤) البخاري (٦٠٤٨)، ومسلم (٢٨٢١).

وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان))، فيقول الرجل: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فيقول النبي ﷺ معلماً أصحابه ومبيناً المنهج العام في دعوة الإسلام: ((من سره أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا)) [١]، ويرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن داعياً لهم إلى الإسلام، فيزوده بالمنهج الذي ينبغي عليه أن يسير عليه، ويرسم له الخطة التي ينبغي عليه التزامها: ((إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في كلّ يومٍ وليلةٍ، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ)) [٢]، فكان التركيز في التَّعليم والتغيير في كل واحدٍ من هذين النموذجين على الأولى فالأولى، وكان الإرشاد إلى الفرائض التي هي أساس الدين وباب الجنة، وكان التركيز على الأركان والأساسيات، لا على الجزئيات والتفصيلات التي لا تتناهى [٣].

٣. اكتشاف المواهب وتوظيفها:

والموهوب هو الذي يفوق أقرانه في الاستعداد الفطري والعقلي والأدائي [٤]، فالإنسان ليس نسخةً مكررةً مع باقي أفراد بني جنسه، فقد شاء حكمة الله البالغة أن تتعدد وتتفاوت قدرات هذا الإنسان بين قوةٍ وضعفٍ، واختلافٍ وتنوعٍ، وفي هذا يقول ابن خلدون: ((النفس وإن كانت في جبلتها واحدةً بالنوع، فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الإدراكات)) [٥].

وطبيعة الحياة البشرية قائمة على أساس التفاوت في مواهب الأفراد، والتفاوت فيما يمكن أن يؤديه كل فرد من عملٍ، والتفاوت في مدى إتقان هذا العمل، وقد ألمح إلى

(١) رواه من حديث أبي هريرة ﷺ، البخاري (١٣٣٣)، ومسلم (١٤).

(٢) رواه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما البخاري (١٣٣١)، ومسلم (١٩).

(٣) وانظر د. يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات ص (١٣٤).

(٤) وانظر د. أحلام مطالقة، المنهج النّبوي في رعاية الموهوبين، مجلة علوم الشريعة والقانون، جامعة اليرموك، مجلد (٤٣)، تاريخ (٢٠١٦م)، ص (١١٥٣).

(٥) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون (٥٧٨).

هذه الحقيقة حديث رسول الله ﷺ: ((المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ)) [1].

من هنا كان من المناهج التي راعاها النبي ﷺ في بناء جيل الصحابة وتطوير كفاءاتهم مراعاة الفروق الفردية بين الصحابة ﷺ وحرصه على اكتشاف مواهبهم ومراعاته لميولهم وتنمية تلك الميول والمواهب بما يناسب كل واحدٍ منهم، فيقف على الحرص على العلم عند ابن عباس ﷺ فيدعو له بزيادة العلم والفقه: ((اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل)) [2]، ليخلق في نفسه زيادة النزعة إلى هذا الميل والاهتمام به والعمل على تنميته وتطويره [3]، ويتفرّس مهارات أصحابه ويصنف مواهبهم ليرشدهم إلى تفعيل هذه المواهب، ويرشد الناس إلى استثمار هذه المواهب عند هؤلاء الأصحاب، ففي الحديث عن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبيَّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمةٍ أميناً، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)) [4]، ويسمع أبا موسى الأشعري ﷺ يتلو القرآن، فيقول له: ((لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود)) [5]، ويعرف حسن صوت بلالٍ رضي الله عنه، فيبرز له هذه الخاصية، ويجعله على الأذان ليعلمنا إسناد الأمر إلى أهل الاختصاص والموهبة، ففي الحديث عن عبد الله بن زيد ﷺ لما رأى رؤيا الأذان، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال: ((إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى صوتاً منك))، قال: فقمت مع بلالٍ فجعلت

(١) مسلم (٢٦٦٤)، وانظر د. نور الدين محمد الطاهر الجزائري، إعداد الكفاءات، ص (١٩) وما بعدها.

(٢) البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧)، دون قوله: ((وعلمه التأويل))، ورواه كاملا بهذه الزيادة أحمد في المسند (٢٣٩٧)، وصححها ابن حبان فرواه كاملا بهذه الزيادة في صحيحه حديث (٧٠٥٥).

(٣) وانظر أ. هزرشي عبد الرحمن، رعاية الموهوبين من منظور السنة النّبوية، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة زيان عاشور، الجزائر، العدد الثالث، سبتمبر (٢٠١٣م) ص (١٩٥).

(٤) رواه الترمذي (٣٧٩١)، وابن ماجه (١٥٤)، وقال الترمذي: ((حسن صحيح)).

(٥) البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٧٩٣).

ألقيه عليه ويؤذن به [١]، ومثل هذا حصل مع أبي محذورة ﷺ، فقد اكتشف فيه النبي ﷺ موهبة الصوت الحسن، فجعله على الأذان في مكة، ففي الحديث عن أبي محذورة ﷺ، قال: ((لما خرج النبي ﷺ إلى حنين خرجت عاشر عشرة من أهل مكة أطلبهم، فسمعناهم يؤذنون للصلاة، فقمنا نؤذن نستهزئ بهم، فقال النبي ﷺ: ((لقد سمعت في هؤلاء تأذين إنسانٍ حسن الصوت))، فأرسل إلينا، فأذّنّا كلنا رجلاً رجلاً، فكنت آخرهم، فقال حين أذنت: ((تعال))، فأجلسني بين يديه، فمسح على ناصيتي وبارك علي ثلاث مرات، ثم قال: ((اذهب فأذن عند البيت))، قلت: كيف يا رسول الله؟ قال: فعلمني الأذان كما يؤذن الآن [٢]، ويرى حسن عمل طلق بن علي ﷺ في صناعة الطين عند بناء المسجد، فيرشد إلى إسناد أمر الطين إليه، ففي الحديث عن طلق بن عليّ ﷺ، قال: بنيت المسجد مع رسول الله ﷺ، فأخذت المسحاة فخلطت الطين، فكأنه أعجبه، فقال: ((دعوا الحنفي والطين، فإنه أضبطكم للطين)) [٣].

إذن كان هذا منهجاً عاماً للنبي ﷺ يتفحص ميول أصحابه ويلاحظ مهاراتهم ومواهبهم ويوظفها التوظيف الحسن ويرشد إلى تنميتها واستثمارها، فمن أبدع في العلم حثه عليه ودعا له به، ومن أبدع في القرآن أثنى عليه وأبرز له موهبته، ومن أبدع في حسن الصوت وظّف إبداعه في خدمة الدين وشعائر الدين، ومن أبدع في شأنٍ من شؤون الدنيا، استثمر إبداعه وأرشد إلى الإفادة منه، فيرسم بذلك معالم سديدة في اكتشاف المواهب وتوظيفها التوظيف الحسن، لما لذلك من العاقبة الحميدة في الرقي والتطوير وجودة الإنتاج في سائر الفنون.

إضاءات على التَّعليم الشَّرعي العالي في ضوء الهدي النّبوي في التَّعليم:

يُجمع المربون وعلماء النفس على أن دور المعلم قائداً وميسراً في العملية التَّعليمية سيظل مهماً على الرغم من تقدم التكنلوجيا الحديثة المستخدمة في العملية التَّعليمية، وللمعلم التأثير البلغ على سلوك الطلبة وعلى شخصياتهم ودوافعهم للتعليم، كما أنه

(١) أبو داود (٤٩٩)، والترمذي (١٨٩)، وابن ماجه (٧٠٦) وقال الترمذي: ((حسن صحيحٌ)).

(٢) النسائي (٦٣٣)، وصححه ابن خزيمة فرواه في صحيحه حديث (٣٨٥).

(٣) أحمد في المسند في حديث طلق بن علي حديث (٣١) وصححه ابن حبان فرواه في صحيحه (١١٢٢).

المفتاح الرئيس لنجاح العملية التَّعليمية، وعلى عاتقه يقع العبء الأكبر في إدارة العملية التَّعليمية وتطويرها ونجاحها.[1]

لذلك كان العكوف على المنهج النّبوي في التَّعليم وأثره في بناء الكفاءات تحليلاً ودراسة من أهم ما يمكن أن يسهم في تنمية المواهب التَّعليمية للمعلمين، ومن أهم ما يساعد في الإدارة الناجحة للتعليم على العموم، وفي التَّعليم الشَّرعي العالي لا يمكن بحالٍ من الأحوال تجاوز هذه المبادئ التي سبق بيانها في الهدي النّبوي في بناء الكفاءات.

فالهدف الذي يعمل عليه برنامج التَّعليم الشَّرعي العالي إعداد الكوادر المتخصصة بالعلوم الشَّرعية، لتعمل هذه الكوادر على القيام بأعباء الدعوة والتَّعليم وغرس الروح الإسلامية وتنميتها، وتعميق التدين العملي المبني على أصولٍ إيمانيةٍ صحيحةٍ، كل هذا على أصول الدعوة الإسلامية المبنية على الحكمة والموعظة الحسنة على نحو ما يقرره كتاب الإسلام كقاعدةٍ عامةٍ في الدعوة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

وإن استثمار المعالم التي قام عليها المنهج النّبوي في بناء الكفاءات في الجانب العلمي في إدارة التَّعليم الشَّرعي العالي وتطويره في ظل الثورة السورية، له الدور الفعال في تطوير العملية التَّعليمية.

ففي معْلَم تلبية الحاجة المجتمعية، عمل التَّعليم العالي في تخصص العلوم الشَّرعية على إحداث عددٍ من المؤسسات التي تعتني بالتَّعليم الشَّرعي العالي، فكانت كلية الشريعة وأخواتها من المؤسسات التَّعليمية الشَّرعية، ومن أجل ذلك كان برنامج الدراسات العليا الذي اعتمد عدداً من التخصصات العلمية ليرفد الساحة بالكفاءات العلمية، من أجل تحقيق الحاجة المجتمعية وخاصةً في التخصصات الدقيقة.

ولا يخفى أن الثورة السورية أفرزت احتياجاتٍ جديدةً ما كان للمجتمع السوري صلة بها، من مثل قضايا الجهاد وأحكامه وتطبيقاته ومستجداته، إلى قضايا السياسة الشَّرعية، بل إلى بعض مفردات العقيدة الإسلامية والتحديات المعاصرة التي أفرزتها

(١) ينظر محمد محمود الملاحي وكوثر الربيع، تنمية الموهبة ورعاية الموهوبين من منظور القرآن الكريم والسنة النّبوية، مجلة علوم الشريعة والقانون في جامعة آل البيت في الأردن، مجلد (٤٣) ص (١٢٠٥).

شراسة الحرب السورية وفداحة الثمن الذي تدفعه الثورة السورية، فكان من الحسن أن يعمل التَّعليم العالي على سدّ هذه الحاجات وتلبية هذه المتطلبات، سواء بافتتاح التخصصات الدقيقة التي تخدم في ذلك، أو بإعداد الكوادر وتنميتهم من الناحية المهارية وتزويدهم بالخبرات المناسبة عبر الدورات التخصصية وورشات العمل، ليعملوا في المجتمع بما تمليه الحاجة المجتمعية في الدعوة والفكر والتَّعليم.

وفي معلم التدرج وفقه الأولويات، فمن اللازم اليوم في مجال التَّعليم الشَّرعي العالي في ظل الثورة السورية أن نهتم بهذا المنهج اهتماماً بالغاً، في التدرج في التَّعليم وفي فقه الأولويات، وأن نعرف ما ينبغي أن يُقدّم للطلبة وما ينبغي أن يؤخر، وما ينبغي أن يحذف ويتم تجاوزه، لما له من أثرٍ سلبيٍّ على المرحلة الاستثنائية التي تمر بها الساحة السورية، وما تحتمه على العاملين جميعاً من تكاتف الجهود وتضافر الطاقات ورصّ الصفوف، فمن المعلوم أنّ المدارس الإسلامية بينها شيء من الخلاف الفكري، وهذا الخلاف يمكن أن يكون أداة إثراءٍ وقوةٍ، ويمكن أن يكون أداة تشرذمٍ وتحزبٍ وضعفٍ، فمن المهم في إدارة التَّعليم الشَّرعي مراقبة الأيادي التي من شأنها العبث بالأمن الفكري في الثورة السورية، عبر مراقبة المؤسسات التَّعليمية، وتفعيل لجان المناهج، ولجان تقييم أداء المؤسسات والعاملين فيها، ونظام المحاسبة، كل هذا تحت مظلة سعة الأفق وقبول الخلاف والحوار وتبادل الآراء.

أما معلم تنوع أساليب التَّعليم، فهو الميدان الأرحب في تطوير التَّعليم الشَّرعي العالي، بل في تطوير التَّعليم العالي على العموم، خاصةً في ظل الثورة السورية التي تحتم علينا جميعاً أن تكون وسائلنا في إدارة المؤسسات التَّعليمية متوافقةً مع مبادئ الثورة وأفكار الثورة، لذلك من الحسن تطوير الأساليب التَّعليمية في التَّعليم العالي وتجاوز الأساليب التقليدية التي تعتمد التلقين والحفظ، وهذا يحتم التطوير في المناهج وفي الإدارة وفي المعلمين، للوصول إلى أهم أهداف العملية التَّعليمية في إعداد الأفراد الذين يملكون القدرة على التكيف والنمو والتفكير المبدع، وهذا يتطلب العمل على حسن اختيار المعلم، والعمل على تطويره بالمهارات التَّعليمية المناسبة، ومن أهمها التَّعليم بالحوار، ذلك أنّ من ثمرة الحوار قهر التسلط والاستبداد وترويض التعصب الفكري والانغلاق والإقصاء، من أجل ذلك لا بدّ من التأكيد على استثمار هذا المنهج في التَّعليم العالي وخاصة التَّعليم

الشَّرعي، وخاصة في ظل الثورة التي من أهم مبادئها الجواز من مرحلة الاستبداد إلى مرحلة الحرية وتحقيق الذات، ومن هنا يحسن تفعيل هذا المنهج في التَّعليم العالي، وفي سبيل ذلك يحسن أمران اثنان، العمل على تفعيل هذا الأسلوب عند الطلبة وتدريبهم على ذلك أولاً، وتفعيل هذا الأسلوب عند المعلمين ثانياً، ولعلّ ذلك يتطلب اقتراح الدورات التدريبية الفاعلة، كما يتطلب اقتراح نظام الحوافز ونظام التقييم الذي يعتمد التطوير والكفاءة كأحد أهم ركائزه.

أما معلم اكتشاف المواهب وتطوير المواهب، فمن المهم الاستفادة منه في تطوير الكفاءات في التَّعليم العالي الشَّرعي، ذلك أن الأصل في التَّعليم العالي رعاية الكفاءات في التخصص، وهذا هو المقدم في سلم الأولويات، لكن يمكن أن يضاف إلى ذلك الاهتمام بالكفاءات الجانبية والالتفات إليها والعمل على استثمارها وتطويرها، فقد تجد طالب علمٍ شرعيٍّ له مواهب أدبية، وآخر له مواهب فكرية، وآخر له مواهب سياسية، إلى غير ذلك من الكفاءات الجانبية، وأولى من يقوم باكتشاف هذه المواهب وتطويرها واستثمارها التَّعليم العالي والمؤسسات العاملة في التَّعليم العالي والمعلمون المتصدرون لإدارة العملية التَّعليمية في التَّعليم العالي، ذلك أن الموهوبين يمثلون ثروة عقليةً تفوق قيمتها كل الموارد الطبيعية، ورعايتهم شرطٌ في التقدم والرقي، لذلك من المهم نشر ثقافة الاهتمام بالموهوبين، ويمكن أن يقترح هنا إنشاء المؤسسات التي تعتني بالمواهب، بالإضافة إلى ربط الجامعات بمؤسسات المجتمع المدني التي تستثمر في الموهوبين، وتعمل على رعايتهم وتطويرهم.

المبحث الثاني: معالم المنهج النّبوي في الإعداد العملي للكفاءات:

لقد كان من خصائص مدرسة النبوة في إعداد الأجيال الاهتمام بالرعاية والتدريب، تدريبٌ على ممارسة العلم في الواقع البشري، فالعمل إنما يبنى على العلم.

لقد أنكر الإسلام بدعة الرهبنة التي عطلت الحياة وعملت على تخريج أفواجٍ من العجزة والسلبيين مُقنّعين بقناع التبتل والعبادة، فإذا كان كل من في الوجود يعمل، من أعظم الأجرام السماوية التي لا تتوقف عن الدوران في أفلاكها، فإن الإنسان لا يستطيع أن

يخرج عن نواميس الكون والحياة، فيعيش على هامش الحياة بلا عمل، وإلا لفظته الحياة وفقد معنى وجوده.

لذلك قام المنهج النّبوي في إعداد جيل الصحابة على تربية المسلم على روح العمل وحثه على الكسب والجد، فحدد مراتب الأيدي، فجعل منها عليا وسفلى، فعن حكيم بن حزامٍ ﷺ، قال صلى الله عليه و سلم: ((يا حكيم، إن هذا المال خضرةٌ حلوةٌ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى)) [(١)]، وجعل خير الطعام طعاماً أكله الإنسان من عمل يده، فقال ﷺ: ((ما أكل أحدٌ طعاماً قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)) [(٢)]، فالعمل هو المعيار الحقيقي للحياة في منظور المنهج النّبوي [(٣)].

لذلك كان من منهج النبي ﷺ في إعداد الكفاءات التدريب العملي على الأعمال والتكليف بالأعمال بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يركز في نفوس الصحابة أهمية المسؤولية التي كلفوا بها من طرف، ويعرفوا كيف يباشرون هذه المهمة من طرفٍ آخر، وقد تجلت معالم هذا المنهج في صورٍ كثيرةٍ في حياة النبي ﷺ، من أبرزها:

- الأمر بالتبليغ.
- التخطيط ورسم منهج العمل.
- تفويض السلطات للتدريب على العمل القيادي.
- الشورى.

١. الأمر بالتبليغ:

والمراد تبلغ الدين بأحكامه وشرائعه للناس، ذلك أن الأمة تحمل مسؤولية هذا التبليغ، ويتحمل جيل الصحابة ﷺ هذه الأمانة عن النبي ﷺ، لذلك كان من منهجه عليه

(١) البخاري (١٤٠٣).

(٢) رواه من حديث المقدام بن معدي كرب، البخاري (١٩٦٦).

(٣) انظر د. نور الدين محمد الطاهر الجزائري، إعداد الكفاءات وحسن توظيفها في ضوء الفكر الإسلامي، ص (٥٤).

الصلاة والسلام التأكيد على هذه المهمة والأمر بها، فيقول: ((بلغوا عني ولو آية)) [1]، ويقول: ((فليبلغ الشاهد الغائب، فربّ مبلّغ أوعى من سامعٍ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)) [2].

ذلك أنّ وظيفة الرسل تبليغ دين الله تبارك وتعالى للناس، وهي وظيفة أتباع الرسل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]، لذلك كان لا بد من التأكيد على هذه المهمة للأمة، ولا بدّ من التدريب عليها، لذلك كان من منهج النبي ﷺ الحث على هذه المهمة والأمر بها.

٢. التخطيط ورسم منهج العمل:

والمراد بالتخطيط تحديد الطريقة المثلى للعمل على وفق منهاج الإسلام ومبادئ الإسلام، فقد كان النبي ﷺ يخطط للصحابة كيف يعملون في بعض ما يوكله إليهم من أعمال، لكي يتدرب الصحابة على العمل على وفق هدايات النبوة.

ومن صور ذلك أنه ﷺ يخطط للصحابة منهج العمل في الجهاد والقتال كما في حديث بريدة ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سريةٍ أو جيشٍ أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال: ((إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصالٍ أو خلالٍ، فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم؛ ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله تعالى وقاتلهم)) [3].

---

(١) البخاري (٣٢٧٤).

(٢) البخاري (١٦٥٤).

(٣) أبو دواد (٢٦١٢) وصححه ابن حبان حديث (٤٧٣٩).

٣. تفويض السلطات للتدريب على العمل القيادي:

فقد كان من هدي النبي ﷺ في الإعداد تفويض السلطة للتدريب على القيادة، ومن صور ذلك أنه ﷺ يستخلف بعض أصحابه في إدارة المدينة أثناء في الغزوات وغيرها، كما أناب بعض أصحابه في قيادة السرايا أثناء الفتوحات، وبعث عماله لجمع الصدقات، ويفوض سلطة الفتيا والقضاء إلى معاذ ﷺ، ويسأله: ((بم تقضي يا معاذ إن عرض عليك قضاء))؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: ((فإن لم تجد في كتاب الله))؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: ((فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ، ولا في كتاب الله))؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: ((الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله)) [١].

٤. الشورى:

والشورى تقليب وجهات النظر وإعمال الفكر في البحث عن الصواب، فيأخذ الإنسان برأي أصحاب العقول الراجحة والأفكار الصائبة، ويستشيرهم حتى يتبين له الصواب فيتبعه، ويتضح له الخطأ فيجتنبه.

وقد كان هذا المنهج منهج الشورى حاضراً في هدي النبي ﷺ، يستشير أصحابه امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وتعزيزاً لهذا المبدأ في حياة الصحابة وتدريباً عليه، تجد هذا ابتداء بغزوة بدر، حيث شاورهم ﷺ في الخروج لملاقاة العدو، ويأخذ بمشورة الحباب بن المنذر ﷺ في المنزل الذي ينزله الجيش يوم بدر، ويشاور أصحابه صلى الله عليه وسلم يوم أحد في البقاء في المدينة والتحصن فيها أو الخروج لملاقاة المشركين، ويأخذ بما أشار به سلمان الفارسي ﷺ من حفر الخندق يوم الأحزاب، إلى غير ذلك من الصور العديدة في حياة النبي ﷺ في قضية الشورى وتفعيل مبدأ الشورى في حياة الصحابة، فقد ربَّى رسول الله ﷺ أصحابه وعودهم على التصريح بآرائهم عند مشاورته لهم حتى ولو خالفت رأيه، تعويداً لهم على التفكير في الأمور العامة ومعالجة

(١) أبو داود (٣٥٢٩) والترمذي (١٣٢٧)، ورجح الدارقطني إرساله. انظر التلخيص الحبير لابن حجر (١٨٢/٤).

الأزمات الطارئة، ليكون ذلك ركيزة في حياتهم ولكي ينمي فيهم اجتناب نهج التسلط والاستبداد.

إضاءات على التَّعليم الشَّرعي العالي في ضوء الهدي النّبوي في الإعداد العملي للكفاءات:

فمما ينبغي أن يستفاد من هذا المنهج النّبوي الرائد في التَّعليم الشَّرعي العالي ضرورة الاهتمام بالإعداد والتدريب على الدعوة العملية والرقي بالمهارات الدعوية اللازمة في هذا الباب، وألا يقتصر ذلك في التَّعليم على الجانب النظري والمقررات النظرية التي تزخر بها المؤسسات التَّعليمية الشَّرعية من مثل "فقه الدعوة" و "فقه الخطابة"، بل يحسن أن ينضم إلى ذلك التربية العملية من خلال البرنامج العملي الرديف، سواء في أساليب الدعوة والتبليغ، أو فن الإلقاء، أو من خلال استثمار وسائل التَّعليم الافتراضي والدعوة عبر وسائل التَّعليم الافتراضي، كما ينبغي أن يسعى التَّعليم العالي إلى ابتكار الأساليب التي تحقق اندماج التَّعليم العالي بالمجتمعات، والميدان رحبٌ في هذا الجانب في الثورة السورية، فكم يحتاجنا أهلنا في مخيمات الهجرة، وكم يمكن تحقيق الارتباط في المجتمع من خلال تفقد حال المخيمات، وتفعيل البرامج الدعوية فيها، فيتدرب الطالب على الارتباط بأهله وعيش معاناتهم والسعي في التخفيف عنهم.

وهنا لا بدّ من التأكيد على ضرورة تشجيع التدريب العملي الدعوي وتوسيع نطاقه، ويمكن في سبيل ذلك الاستفادة من مذكرات التفاهم والتعاون مع المؤسسات الدينية التي لها عمل في الجهد الدعوي، يكتسب من خلالها الطلبة الخبرات الجيدة.

كما يحسن التأكيد على تفعيل ورشات العمل في التَّعليم العالي التي يطفو فيها منهج الشورى بشكل عملي، فيتدرب المتلقون على هذا الشورى وإبداء الرأي وتثمين الرأي الصائب وتصويب الرأي الخاطئ.

المبحث الثالث: معالم المنهج النّبوي في الإعداد التربوي للكفاءات:

وإذا شئت أن تسميه الإعداد الأخلاقي، بمعنى التربية على الأخلاق الفاضلة التي من شأنها أن تنشر الخير والفضيلة في المجتمعات، وكلما زاد الرقي الأخلاقي في المجتمعات، كلما

اقترب من الحياة الآمنة الفاضلة، ولهذا نجد هذا المعلم حاضراً في منهج النبي ﷺ في إعداد جيل الصحابة ﷺ، وأقتصر في بيان هذا المنهج على أهم معالمه:

- تفقد الأصحاب.
- التربية على الرقابة الذاتية.
- التربية على سعة الأفق وقبول الخلاف.
- اليقين والأمل.

١. منهج تفقد النبي ﷺ أصحابه:

فقد كان النبي ﷺ يتفقد أصحابه، ويسأل عنهم، ويشعرهم باهتمامه، يعود مريضهم، ويسأل عن غائبهم، ويواسي مصابهم، ويخفف عن محزونهم، فيربيهم بذلك على الشعور بالقيمة والانتماء إلى الجماعة، يتأخر جابر بن عبد الله ﷺ عن الجيش في غزوةٍ من الغزوات، فيتأخر معه النبي ﷺ فيقول: ((ما شأنك))، قال جابر: أبطأ علي جملي وأعيا فتخلفت، فينزل صلى الله عليه وسلم يحجن الجمل بمحجنه [١] ثم قال: ((اركب))، قال: فركبت، فلقد رأيته أكفُّه عن رسول الله ﷺ، قال: ((تزوجت))؟ قلت: نعم، قال: ((بكراً أم ثيباً))، قلت: بل ثيبًا، قال: ((أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك))، قلت: إن لي أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن، قال: ((أما إنك قادم فإذا قدمت فالكيّس الكيّس)) [٢]، فيتفقد جابراً الذي رأى تأخره عن الجيش بسبب ما أصاب جمله، ويتأخر معه ﷺ، ويواسيه ويلاطفه.

ويفتقد ﷺ ثابت بن قيس الذي تكرر غيابه عن المجلس على غير عادة، ويسأل الأصحاب عنه، فيقول رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه الرجل فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شرٌّ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبر النبي ﷺ ، فقال: ((اذهب إليه فقل له:

(١) ينخزه بالمجن، وهو عصا معوجة الرأس.

(٢) البخاري (١٩٩١)، ومسلم (٧١٥).

إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة)) [1]، وفي غزوة تبوك وفيها الألوف من الصحابة ﷺ حتى إذا بلغ تبوك قال ﷺ: ((ما فعل كعب بن مالك)) [2]، يتفقده ويسأل عن حاله وما صنع في هذه الغزوة على كثرة ما فيها من الصحابة، إلى غير ذلك من النماذج الكثير، وفي هذه الأحاديث بيانٌ لمنهج عامٍ عند النبي ﷺ في تفقد الأصحاب والسؤال عنهم، فلم يكن ﷺ يعيش بعيداً عن أصحابه، بل كان يتفقدهم ويهتم لحالهم ويطمئن عليهم.

٢. التربية على الرقابة الذاتية:

والرقابة الذاتية تعني متابعة الإنسان لأفعاله دائمًا، مستشعرًا رقابة الله تبارك وتعالى، وأن جميع ما يقدم عليه من عمل تحت رقابة الله سبحانه، فيحمله ذلك على مراقبة أفعاله ووزنها بميزان الشرع الإسلامي، وقد كان من منهج النبي ﷺ تربية الصحابة على هذا المبدأ، فينمي فيهم الوازع الديني عبر تنمية خلق المراقبة لله تبارك وتعالى، واستشعار مراقبته للعباد، يبصر أبا مسعود الأنصاري ﷺ يضرب غلاماً له، فيلفت نظره إلى الحقيقة العظيمة التي لا ينبغي الغفلة عنها، المتمثلة في الرقابة الربانية على العباد، ففي صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري ﷺ، قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي: ((اعلم أبا مسعود))، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: ((اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود))، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: ((اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام))، قال: فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبداً [3].

٣. التدريب على سعة الأفق وقبول الخلاف:

وسعة الأفق إنما يراد بها المرونة واتساع الفكر والانفتاح على الآخر، وأن يكون الإنسان متجرداً للحق مبتعداً عن التعصب للرأي والاعتداد بالنفس والكبرياء والغرور، وأن يكون على استعدادٍ للتخلي عن رأيه إذا وجد ما يستدعي ذلك من دليل وبرهان.

---

(١) البخاري (٣٤١٧).

(٢) البخاري (٤١٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٣) مسلم (١٦٥٩).

وإن اتصاف الإنسان بسعة الأفق وعمق النظر مما يعين على الثراء الفكري، حيث يكون الاحتكام إلى الحقائق لا إلى الأشخاص، ويكون المقصد تجلية الحقائق لا الانتصار للنفس والهوى، ومن صور سعة الأفق قبول الخلاف المبني على الأسباب المنطقية للخلاف، وخاصةً في قضايا العلم ومفرداته المبنية على الاجتهاد، والأصل في الخلاف المبني على الدليل الصحيح أن يكون سبب إثراء لا سبب فرقة، فبه تتسع الثروة العلمية وتكثر وجهات النظر، فيشكل مادة غنية للبحث والنظر والتدليل والترجيح واختيار الأنسب باختلاف الظروف والأحوال.

وقد كان من منهج النبي ﷺ في إعداد الصحابة ﷺ تدريبهم على سعة الأفق وقبول الخلاف، فكان يبين لهم سعة الإسلام وأحكامه من طرف، ويقبل اختلافهم في فهم النصوص التي تحتمل الخلاف من طرف آخر، ليكون هذا الهدي منار هداية في سعة الأفق وفقه الخلاف، ففي البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، وكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها؟! فقال: ((لي أرسله))، ثم قال له: ((اقرأ))، فقرأ، قال: ((هكذا أنزلت))، ثم قال لي: ((اقرأ))، فقرأت، فقال: ((هكذا أُنزِلَت، إنَّ القرآن أُنزِل على سبعة أحرفٍ، فاقرؤوا منه ما تيسر)) [١].

وفي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: ((لا يصلّين أحٌد العصر إلا في بني قريظة))، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم [٢].

فكان هذا معلماً من معالم الهدي النّبوي في تربية الصحابة ﷺ، معلم سعة الأفق وقبول التعددية المبنية على القواعد الصحيحة في الدليل والاستدلال، وكم كان لهذا المعلم

(١) البخاري (٢٢٨٧).

(٢) البخاري (٣٨٩٣)، ومسلم (١٧٧٠).

من دورٍ بارز في جيل ا لصحابة ومن بعدهم في الأمة عبر العصور، حتى كان للتعددية الاجتهادية الثروة العلمية العظيمة التي تفخر بها أمة الإسلام.

٤. التربية على اليقين والأمل:

فقد كان هذا ا لمنهج حاضراً في هدي النبي ﷺ في تربية أصحابه، وقد دعّم صلى الله عليه وسلم أسس هذا المنهج (منهج اليقين والأمل)، وأبرز معالمه بهديه وسيرته، وأقتبس من هذا الهدي واقعةً واحدةً يتجلى فيها هذا المنهج التربوي، وهي ما رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أتاه رجلٌ فشكا إليه الفَاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال صلى الله عليه وسلم: ((يا عدي، هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها، قال: ((فإن طالت بك حياة لترَيَنّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله))، قال: قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعّار [(١)] طيئ الذين قد سعروا البلاد، قال: ((ولئن طالت بك حياة، لتُفتحَنّ كنوز كسرى))، قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: ((كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترينّ الرجل يخرج ملء كفه من ذهبٍ أو فضةٍ، يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك، فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً وولداً وأُفضِل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم، اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة)).

قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنتُ فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج ملء كفه من ذهبٍ أو فضةٍ، يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحداً يقبله منه [(٢)].

---

(١) أراد بهم قطاع الطريق، والداعر الفاسق المفسد، انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، /دعر/.

(٢) البخاري في المناقب (علامات النبوة) ٣٤٠٠.

فانظر إلى بهاء هذا الأسلوب النّبوي الفريد في ربط أهل الإيمان بالله، وبعث روح الأمل واليقين في قلوبهم، فكأنه يخاطب عدياً والأمة من ورائه أن لا تخنقنّكم الشدائد التي ترونها، وأن لا تحجبنّكم ظلمتها عن إبصار النور الذي سيعقبها.

إضاءات المنهج النّبوي في الإعداد التربوي للكفاءات على التَّعليم الشَّرعي العالي:

في مجال التَّعليم العالي على العموم يمكن القول توصيفاً إن مؤسسات التَّعليم العالي تولي عناية واضحة بتزويد طلابها بالمعارف النظرية العلمية والمعارف العملية التخصصية، ولكنها تغفل عن بناء الجانب التربوي وبناء الشخصية الأخلاقية للطلبة، لذلك يحسن الإفادة من المنهج النّبوي في الإعداد التربوي في التَّعليم الشَّرعي العالي.

ففي مَعْلَم تفقّد الأصحاب، يحسن في إدارة التَّعليم العالي على العموم، والتَّعليم الشَّرعي منه على الخصوص، أن تكون العملية التَّعليمية محكومة بهذا المَعْلَم، في تفقد حاجات الطلبة والعمل على تلبية حاجاتهم، وهذا مطلوبٌ من الأساتذة والمدرسين على العموم، ومطلوبٌ من الإدارة بشكل آكد وأكثر ضرورة، وهو مطلوبٌ في كافة الظروف، وفي ظروف الثورة بشكل آكد وأكثر إلحاحاً، ذلك أن الطلبة في مرحلة الثورة هم الثوار الذين ما زالوا يقدمون ويبذلون في الثورة ونصرة قضايا الثورة.

ولا أريد هنا التفقد الشخصي لكل طالب، بل المراد ما هو أوسع من ذلك، من متابعتهم عبر الاستبيانات الدورية، ومن تفعيل دورهم في الرقابة الجامعية عبر برامج التقييم للمدرسين والتقييم للمناهج والوقوف على مقترحاتهم في ذلك، إلى ارتباط الإدارة بهم عبر وسائل التَّواصل ومتابعة تحصيلهم خطوة بخطوة، وتحفيزهم في بداية كل مرحلة دراسية، إلى التَّواصل مع الجهات التي يمكن أن تعينهم في التحصيل مادياً أو معنوياً، إلى تقوية العلاقة بين الأستاذ والطالب عبر البرامج اللاجامعية، إلى الرحلات العلمية الترفيهية، فكم سيترك ذلك من أثرٍ في نفوس الطلبة، وكم سيكون له من أثرٍ في الانتماء إلى المؤسسة التي يرتبطون بها.

أما معلم الرقابة الذاتية والتدريب على الرقابة الذاتية، فهو من أهم المعالم، في قطاع التَّعليم وفي سائر القطاعات، وفي هدايات ديننا الحنيف الكثير من القيم والمعاني التي جاءت بها نصوص الوحي من قرآنٍ وسنةٍ تسعى نحو تعزيز هذه الخاصية في حياتنا،

وأهم ما يعين على ذلك تنمية الشورى بالارتباط بالله تبارك وتعالى، لذلك من المهم في التعليم العالي أن يكون هناك مقررٌ تربويٌ يباشر تدريسه شخصيةٌ تربويةٌ، كما أنه من المهم أن يكون هناك البرامج الرديفة كلقاءات أهل الاختصاص في التربية الأخلاقية يشمل ذلك كلاً من الأساتذة والطلاب.

وفي معلم التدريب على سعة الأفق وأدب الخلاف، لا بدّ في التَّعليم الشَّرعي من اعتماد منهج التَّعليم المقارن، الذي يعتمد عرض الآراء العلمية للمدارس الفقهية على تنوعها ومناقشتها والتدليل لها وعليها، ومن أهم ثمار هذا المنهج سعة أفق المتعلمين ووقوفهم على أن الخلاف إنما يقوم على أسبابٍ علميةٍ تقتضيه، وكم لهذا من أثرٍ في علاج الغلو في الفكر الذي طفا على السطح في الثورة السورية، وقام على فكرة احتكار الحقيقة وإقصاء الآخر.

وفي معلم اليقين والأمل، كم نحتاج هذا المعلم عندما تشتد الظروف وتكثر المحن، وطلبتنا في أحوج ما يكونون إلى تفعيل هذا المعلم في التَّعليم العالي عند الأساتذة والطلاب، فما أحوجنا في ظروف الثورة وشدتها وآلامها أن تشرق فينا روح اليقين والأمل، هذه الروح الوثابة التي تدفع إلى النهوض والعمل، وتساعد على بعث حالةٍ نفسيةٍ وشعورٍ جديدٍ يجعل العمل الجاد الشاق هيناً على النفس.

فالأمل بالقادم من الأيام يحرر النفس من الاحتباس في لحظة الشدة والوهن، ويلقي في الرُّوع أنه لا زالت هناك فرصٌ أخرى قادمةٌ، ومن فاته قطار اليوم سيلحق بقطار الغد، وعلينا أن نركز في نفوس طلابنا قانون التداول القائل بأن ذلك الوضع لن يدوم، وأن علينا واجب الاستعداد والعمل والتحرك المستمر، فما أحوجنا في زمن الآلام والشدائد، أن تشرق الآمال في قلوبنا، ونحن على يقينٍ كاملٍ برَوْح الله ورحمته، مهتدين في ذلك بهدي كتاب ربنا وبهدي نبينا الأكرم صلى الله عليه وسلم، وقد شمّرنا عن ساعد الجد والعمل، ونهضنا لنكون من أدوات التغيير، فمن يدري، ربما كانت هذه الشدائد مفتاحاً لخيرٍ عظيم.

نتائج البحث:

خلص البحث بعد هذه الجولة في رحاب المنهج النّبوي في بناء الكفاءات عند جيل الصحابة إلى النتائج التالية:

١. كان من هدي النبي ﷺ الاهتمام البالغ ببناء الكفاءات الفاعلة التي تسهم في البناء والتطوير.
٢. يشكل الهدي النّبوي في بناء الكفاءات نظرية عامة يمكن الإفادة منها في العصور كلها، وخاصة في مراحل التغيير والإعداد في الظروف الاستثنائية.
٣. بناء الكفاءات من أهم ما يحسن العمل عليه في قضية إدارة التَّعليم العالي في المجتمعات وتطويره، وخاصة في ظل الأزمات الطارئة التي تحتاج الكفاءات المميزة.
٤. التَّعليم العالي ميدانٌ رحبٌ للاستثمار في الإنسان، وخاصةً في ظروف الأزمات والثورات، ومن الأهمية بمكانٍ أن يستثمر في رفد الثورة بعوامل القوة وأسباب الاستمرار حتى تحقيق الأهداف.
٥. ضرورة ابتداع دائرةٍ للتخطيط والإدارة في مؤسسات التَّعليم العالي تعمل على الاهتمام بالبناء الأخلاقي والتربوي وفق برامج رديفة تقوم على خطةٍ متينةٍ ورؤيةٍ واضحةٍ وأهدافٍ واضحة.

قائمة المصادروالمراجع:

- إعداد الكفاءات وحسن توظيفها في ضوء الفكر الإسلامي، د. نور الدين محمد الطاهر الجزائري، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ط١، د. ت.
- الإنسان أساس المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، د. عبد الحميد الغزالي، طباعة المعهد العالي للبحوث والتدريب، جدة، د.ت.
- التأصيل العلمي لأساليب التَّعليم في السنة النّبوية، د. سالم سلامة، بحث مقدمٌ إلى المؤتمر التربوي الأول في الجامعة الإسلامية في غزة.
- التخطيط الحكيم، منهج التخطيط في الإسلام، أ. د محمد حسين أبو صالح، المكتبة الوطنية، السودان، ط١/ ٢٠١٦م.
- التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩.
- المسند، أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرناؤوط، مطبعة الرسالة، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
- المعجم الكبير، الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، ت: حمدي السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- المنهج النّبوي في رعاية الموهوبين، د. أحلام مطالقة، مجلة علوم الشريعة والقانون، جامعة اليرموك، مجلد (٤٣)، تاريخ (٢٠١٦م).
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ت: محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
- تنمية الموهبة ورعاية الموهوبين من منظور القرآن الكريم والسنة النّبوية، محمد محمود الملاحي وكوثر الربيع، مجلة علوم الشريعة والقانون في جامعة آل البيت في الأردن.
- دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، د يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، ١٤١٥هـ.

- رعاية الموهوبين من منظور السنة النّبوية، مجلة الدراسات الإسلامية، هزرشي عبد الرحمن، جامعة زيان عاشور، الجزائر، العدد الثالث، سبتمبر (٢٠١٣م).
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط٢، د.ت.
- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، ط١.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، ت: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت.
- سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٩٣، الطبعة: الثانية، ت: شعيب الأرنؤوط.
- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، ت: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٠ هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: د. مصطفى البغا، دار اليمامة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت.
- في فقه الأولويات، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، ط/٢/ ١٤١٦هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي علي بن أبي بكر، دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي – القاهرة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م.